

الأحلام

للفيلسوف الفرنسي هنري برجسون

بقلم الأستاذ ألبير نادر

(تمتة)

السرعة التي تسرد بها بعض الأحلام تبدو لي كأنها نتيجة أخرى لنفس السبب : الحلم يمكنه أن يقدم لنا في بضعة ثوان مجموعة حوادث تتطلب أياماً عديدة للتحقق في حالة اليقظة . كتب الفريد موري في هذا الصدد يقول : « كنت نائماً في حجرتي ووالدتي على قمة السرير . حلت بالثورة وكنت أشاهد حوادث الذبح ثم مُثلت أمام محكمة الثورة ، ورأيت روبسبير ومارا وفوكيه تنفيذ . . . أخذت أجادهم ، ثم 'حكمت علي' بالإعدام وقادوني في عربة إلى ميدان الثورة - صعدت إلى المقصلة وربطني الجلاد على اللوح ثم دفعه والمقصلة هبطت علي ؛ فشمرت بأن رأسي قد انفصل عن جسمي واستيقظت وأنا في حالة يأس شديد وشمرت بسهم السرير فوق عنقي ، وكان هذا السهم قد انفصل من موضعه ووقع على فقرات عنقي مثل ما تقع مقصلة المشنقة على العنق - حصل هذا في الحال كما أثبتته لي

والدتي . فأنا اتخذت هذا الإحساس الخارجي بداية لحلم تعاقبت فيه حوادث متعددة . اه (من كتاب موري : النوم والأحلام) . ومهما يُقل عن ملحوظة موري هذه في أيامنا الأخيرة فأنا أراها ممكنة التحقيق ، لأنني وجدت حوادث مماثلة لها في أدب الأحلام - وتوالي الصور السريع هذا ليس بأمر قريب ، فإن صور الحلم تكون بنوع خاص صوراً بصرية . والمحادثات التي يظن الحالم أنه سمعها تنظم وتم وتنضم غالباً عند اليقظة . وربما لا تكون صور الحلم سوى فكرة المحادثة فقط أو معناها الكلي الذي صاحب الصور . فجمع كبير من الصور البصرية يمكنه أن يبدو دفعة واحدة على شكل منظر ، وبذلك لا يحتاج إلا لبضع لحظات . فلا ندهش إذا جمع الحلم في بضع لحظات ما يتطلب عدة أيام أثناء اليقظة . إن الحلم يرى الشيء مصغراً فهو يعمل كما تعمل الذائكة . في حالة اليقظة يلزم الذكر البصرية التي تعبر عن الإحساس البصري أن تنطبق تماماً على هذا الإحساس البصري ؛ ومن ذلك ينتج سرد الحوادث وهو يدوم بقدر الزمن الذي يدومه هذا الانطباق . وبالاختصار يدوم إدراك الحوادث الخارجية تماماً - فقدر ما تدوم هذه الحوادث . لكن في الحلم تكسب الذكرى المعبرة عن الإحساس البصري حريتها ، وعدم استقرار الإحساس البصري يجعل الذكرى

ويتقدم الموكب ، وراه الجيران ، وتثرثر جارتان :

— آوه .. يا لكترتهم .. إنهم يسرعون

— سيأتون .. وأنا أراهم أيضاً ، إنهم يقربون !

لقد كانت المصيبة تسمى ... « فالفرد عيشي ... لا يتعب

ولا يعمل ... »

والحق أن هذا النظر الفاجع ليبت في الأنفس القلق .

هذا مصيرنا نحن أيضاً . إننا نستسلم جميعاً للطمأنينة والراحة .

وإننا لنفرح ونضحك ... بل نمتقد أحياناً أننا سعداء ، ولكن

الموت والألم والمصائب ، تسمى نحوها مسرعة لا يوقفها إنسان ،

ونحن غافلون مطمئنون

٢١٠٣

لقد كانت هذه الفكرة تهيمن على آثار ماترنك حتى مطلع

هذا القرن . . . ولقد حاول في روايته « أجلافين وسيليزيت

Aglavine et Selysette » أن يجعل الألم والموت يتراجمان

أمام الحياة والفرح . ولكنه لم يدرك ما ابتغاه ، ووجد نفسه

مجرداً على أن يصور هذه المصائب التي تنفص عيش الإنسان

في هذه الحياة الدنيا

هذه أشهر آثار ماترنك في الحقبة الأولى من تفكيره

الفلسفي . فلما طلع هذا القرن ، كان لماترنك وجهة أخرى سنعود

إلى التكلم عليها بعد حين

صمدح الصمد المحمد

(انتهى البحث الأول - دمشق)

ولكن إذا كان النوم عميقاً فربما تحلم أحلاماً من نوع آخر ولا يبقى منها شيء عند اليقظة

وأنا أميل إلى الاعتقاد وخصوصاً لأصحاب نظرية ومعضة اقتراح بأن رؤيانا حينئذ تكون أكثر تعدداً وأكثر إبضاحاً لماضيها . فطلي علم النفس أن يوجه مجهوده نحو هذا النوم العميق ، لا ليدرس فيه فقط كيان الذاكرة الباطنية وعملها ، بل ليفحص العوامل الخفية التي تتعلق بالبحث النفساني . أنى لا أريد المغامرة في هذا الضمار ولكن لا يسعني إلا أن أهمر بالملاحظات المتجمعة بفضل مجهود « جمعية الأبحاث النفسية » الذي لا يعرف الكلل ، فالتفتيق عن العقل الباطن والبحث عن أعماق النفس بواسطة طرق مخصوصة هو عمل علم النفس الأسامي في فجر هذا العصر . ولا أشك أن هناك اكتشافات بديعة تنتظره وأهميتها تضاهي أهمية العلوم الطبيعية في العصور الماضية ، وهذا ما أتناه لكم في ختام حديثي هذا .

أبير تاور

(تم)

الساعة . . . !

عزيزي الدكتور طه حسين بك

في المحاورات اللمعة الطريقة التي دارت بينك وبينى - في خريف السنة الماضية بالقدس - والتي استمع إليها جمهور من نخبه أدباء فلسطين كنت ثامراً على الشعر العربي الحديث منكراً الإبداع الفني في صورته وتهاويله ، فسمح لي اليوم أن أقدم إليك - على أسبوعين أو ثلاثة - طرائف من شعر أحمد الصافي النجدي لم تنتشر بعد لأرى رأيك الجديد . . .
القدس - عبد القادر جنيدى

يا ساعة أتيهما النظام عليك كل راحة حرام
تجربن لا يوقفك الزحام مسرعة كأنك الحمام
هذى الليالي لك والأيام تُقنينها كأنها أخصام
النوم من أعمارنا انحسام ألا تنامين كما تنام
أسقيك لو تسكرك المدام فتسكر الشهور والأعوام
وتهجمون إن غفا الأنام وترقد الخمر وينقى الجوام
والليل والنهار إن تناموا ها لكم في نومكم أحلام
ونحن في أحلامكم أوهام

أحمد الصافي النجدي

لا تنطبق عليه . ووتيرة الذاكرة المعيرة لا يعد لها أن تختار وتيرة الحقيقة . والصور يمكنها إذا شاءت أن تندفع بسرعة جنونية كما تتعاقب الصور السينمائية إلا إذا نظمنا تعاقبها . فلا التدفق ولا النزارة يبرهانان عن قوة في محيط النفس ، إلا أن الضبط والدقة في الانسجام يتطلبان مجهوداً . أما إذا تمردت الذاكرة المعبرة والتفتت إلى الحياة وخرجت عن حالة الحلم فالحوادث الخارجية تقسم حينئذ مجراها وتخفف وطأتها مثل رقاص الساعة يقسم أجزاءه ويوزع على عدة أيام تمدد الزبرك مع العلم بأن هذا التمدد بصير في الحال إذا ترك وشأنه

بقى لنا أن نبحت لماذا يختار الحلم هذه الذكرى أو تلك مفضلاً لإياها على الذكريات الأخرى التي يمكنها أن تنطبق أيضاً على الإحساسات الحالية . لا يمكننا أن نعبر عن خاطر الحلم ولا يمكننا أن نعبر عن خاطر اليقظة ، لكن يمكننا أن نشير إلى اتجاهيهما البين . ففي أثناء النوم الطبيعي تعيد لنا أحلامنا في الثالب الأفكار التي صرت بنا كالبرق ، أو الأشياء التي أدركناها بدون أن نعيرها انتباهاً . وإذا حللنا أثناء الليل بحوادث النهار فالحوادث التافهة لا الحوادث المهمة هي التي يكون لها حظ الظهور . وإني أؤيد نظريات دلاج وروبرت وفروود في هذا الصدد . أنا في الطريق أنتظر الترام ولا يمكنه أن يمسي لأني واقف على الرصيف ؛ ولكن إذا طرأت على فكرة خطر ممكن عند ما يمسي الترام . لا بل أكثر من ذلك : إذا تراجع جسمي بدون انتباه وبدون أن أشعر بأى خطر فيمكن أن أحلم في الليلة السابقة أن الترام قد دهمني . أعود أثناء النهار مريضاً حالته تدعو إلى اليأس ، ويكفي أن يمر شعاع أمل بسيط ولدة لحظة وجيزة - شعاع أكاد أشعر به - حتى يظهر لي حلم أثناء الليل أن المريض قد شفى ، وعلى كل حال سأحلم بشفاء لا بمرض أو موت ، بالاختصار ما لم نمن بمشاهدته له الأفضلية في الرجوع والعودة . ولا غمهاية ، فالشخصية التي تحلم هي شخصية ساه تتمدد . والذكريات التي تتفق أحسن اتفاق مع هذه الشخصية هي ذكريات السهو التي لا تحمل معها علامة المجهود

هذه هي الملاحظات التي أردت أن أقدمها لكم في موضوع الحلم . أنها غير واقية . فهي لا تبحت إلا في الأحلام التي تعرفها اليوم وفي الأحلام التي تتذكرها والتي ترجع إلى النوم الخفيف ؛